حركة « الشيخ لافي » هي حركة جموع الفلاحين التي تعبر عن المنحى العام لحركة شعب نضال جموع البسطاء التي تقاتل من أجل الوطن ، ومن أجل الوطن فقط · تدور حيـــاة « الشيخ » في قرية « البارد » ، عمرها هي عمر الشيخ أي نضاله : « عُمره كان من عمر أقدم بيت في القرية ــ ص ــ ٨ » · وبعد تحديد المكان يتحدد أمامنا « البطل » :

« الشيخ لافي » هو التجسيد المادي لشعب والمعادل الفني الذي تصوغه ذاكرة قروية بل يمكن ان نقول انه الكيان التاريخي الذي تبنيه ذاكرة جماعية · ذاكرة تبني الكيـــان وتتعرف على نفسها فيه · ذاكرة تحكي عن « الشيخ » وتحكي عن ذاتها ، انها فيه وهـــو فيها : النضال مساهمة جماعية / « والبطل » معادل فني تبنيه ذاكرة جماعية :

ــ « غير ان الرأي السائد في القرية ، وهو رأي الدراويش ··· ، يؤكد أن ليس جـــد الامام الملك هو الذي بنـــاه » ص ٩ ·

ــ ولكي يعرف احدكم كان عمر الملك حين اختفى ، فلا بد وان يستمع الى العديد مـــن الروايات » ص ٧ ·

ــ « أما لماذا لقب لافي الحمد ، بالشيخ ، ومن ثم بالملك ، فهي الرواية الوحيدة التي لا تختلف الروايات فيها » ص ١٠ ·

ــ « ويروى الشيخ محمود الحمد عن أبيه الشيخ المبروك احمد الحمد ، ان الشيخ لافي اصبح » ص ١٢ ·

يتتابع الحدث امامنا ابدا محمولا على الذاكرة الجمعية التي تستعيد الماضي عبـــر منطقها الخاص كي تمنحه دلالته وتربطه بالحاضر · يتكلـــم الرواة ، اذن ، فتتجمـع « الحكايات » وتتقاطع ، ثم تجري لتصب معا في نهر ــ ذاكرة · والنهر ــ الذاكرة هـــو البطل في التاريخ · ذاكرة قروية تتحدث عن نفسها ، تعيد بنـــاء ذاتها اعتمادا علـــى ايديولوجيتها الخاصة ، فيتعانق الواقع والخيال ، الحقيقي والوهمي · فما هي هـــذه الايديولوجيا ؟·

المكان هو قرية ، والذوات فلاحون · وفي عالم القرية المغلق لا يتحرك كفكر الا الفكـر الديني ، ولا يحكم العقول الا منطق التعالي والميثولوجيا والخارق · لذلك تتحرك القرية أمامنا محكومة بأقمطة دينية كاملة الحضور :

ــ « الدراويش الذين لا يزالون ينصبون حلقات الذكر كل ليلة جمعة » ص ٩ ·

ــ « ارتفعت دقات الطبول والصنوج من مقام سيدي الشيخ حامد » ص ٣٢ ·

ــ « راح الدراويش يدورون بحلقات ··· ، وهم لا يزالون يضربون الطبول والصنـوج ويلوحون بالاعلام » ص ٣٣ ·

الذاكرة التي تروي الحدث ، تبدأ اذن من أيديولوجيا دينية ، لذلك فان تشكل الحـدث لا بد من أن يتلون بهذه الايديولوجيا ويأخذ منطقها · وعندما ترسم الايديولوجيا الدينية كيانا ، ترسم وفقا لمنطقها ، أي بلا تناقض ، فيتقدم الكيان منسقا، كاملا، مستقيم الحركة، لا يعرف التطور لانه معطى دفعة واحدة · بمعنى آخر · ان الذاكرة الدينية لا ترسم الا بطلا ملحميا منفتحا على الزمان والمكان ، لا يعتوره نقص أو شذوذ ، انه كمال الوجـــود والوجود الكامل · بدء بلا حدود ونهاية لا تعرف النهاية · لذلك يصبح « الشيخ لافي »